هوامش

في ربيع كل عام، ترجع مدينة الجم التونسية إلى زمنٍ بعيد ويتداخل فيها الحاضر مع الماضي، من خلال مهرجان أيام الجم الرومانية الذي يخلق مشهديةً فريدةً من نوعها

من عروض المهرجان (ياسين قايدي / الأناضول)

أيام الجم الرومانية

رحلة إلى ماضي المدينة التونسية

تونس ـ **محمد معمري**

في ربيع كل عام، ترجع مدينة الجم التونسية إلى زمنٍ بعيد، ويتداخل فيها الحاضر مع الماضي، من خلال مهرجان أيام الجم الرومانية الذي يخلق مشهديةً فريدةً من نوعها، تختلط فيها السيارات والهواتف الذكية والملابس العصرية، بالعربات والدروع والأثواب الرومانية. في فضاء المسرح الروماني الذي يعود تاريخ بنائه إلى القرن الثالث الميلادي، تقام الألعاب الأولمبية القديمة والعروض العسكرية الرومانية بنفس الطريقة التي كانت عليها قبل قرون. تأخذ هيئات المشاركين وملابسهم والحركات التي يؤديها المصارعون المتفرج إلى ثيسدروس، وهو الاسم الروماني للمدينة القديم، التي كانت تعد من أهم مستوطنات الإمبراطورية في شمال أفريقيا.

كانت استعادة ماضي المدينة الواقعة شرق العاصمة تونس في محافظة المهدية الساحلية، إحدى الأهداف الرئيسية لجمعية نحن نحب الجم التي تأسّست في عام 2012، للترويج للبلدة بوصفها وجهة للسياحة الثقافية، خاصة مع وجود المسرح الروماني الذي حافظ على معالمه لأكثر من 1700 عام، وأدرجته «يونسكو» على لائحة مواقع التراث العالمي في 1979.

وقال رئيس جمعية نحن نحب الجم، زيد زويد، في حديث إلى «العربي الجديد» إنّ «الهدف من تنظيم مهرجان أيام الجم الرومانية هو تنشيط المسرح الروماني، والتعريف بالتراث المادي واللامادي الروماني للمدينة، عبر تنظيم ورشات عمل ومعارض للحرف والفنون الرومانية، إضافة إلى عروض، أبرزها مباريات المصارعة على الطراز القديم التي يقدمها المجالدون الرومان». جذبت فرادة المهرجان وعروضه مواطنين من مختلف المدن التونسية لمتابعته ورؤية مشاهد لم يألفوها من قبل: جنود رومان يقدّمون عرضاً عسكرياً، وحرفيون منهمكون في صناعة الأواني الخزفية، ورياضيون يتنافسون في الألعاب الأولمبية. بحسب زويد، حضر أكثر من أربعة آلاف متفرج لمشاهدة العروض، في حين بلغ عدد زوار الورشات والمعارض قرابة ستة آلاف شخص. وعلى الرغم من تنوّع العروض والفعاليات وارتفاع أعداد المشاركين وتوسّع الجمهور، فإنّ المهرجان ما زال حتى اليوم يعمل ضمن ظروف مادية متواضعة، بحسب زويد الذي قال: «رغم أهمية العروض وتميزها، إلا أن ميزانية المهرجان محدودة، ولا تتجاوز 120 ألف دينار تونسي (قرابة 40 ألف دولار أميركي)».

لفت زيد زويد، رئيس «نحن نحب الجم» إلى أنّ «أيام الجم الرومانية» تعتمد على العمل التطوعي. أضاف: «أغلب المشاركين في العروض والتظاهرات هم متطوعون من أبناء مدينة الجم الذين يريدون المحافظة على تراثها وتاريخها، ما يساعدنا على خفض التكاليف. إضافةً إلى ذلك، فإنّنا نتعاون مع جمعيات صديقة من مدن أخرى في تونس، وكذلك من مدن أوروبية على الضفة الشمالية للبحر المتوسط، مثل إيطاليا وفرنسا، التي جاء منها مشاركون متطوّعون أيضاً». وأشار زيد زويد إلى أنّ أبناء المدينة من الطلبة الذين يدرسون في مجالات التصميم والديكور يتطوعون لإنجاز معظم الملابس والديكورات التي تستعمل في الفعاليات، لافتاً إلى أن ذلك «ساعدهم على مراكمة الخبرة الكافية لإعداد وتحضير وتجهيز مهرجانات من هذا النوع، وفتح أمام الجمعية باب المساهمة في تظاهرات فنية أخرى، مثل مهرجان اكتشافات تونس، والمهرجان الدولي للموسيقى السمفونية في الجم». في الوقت الحالي تتطلّع الجمعية إلى الدورة المقبلة من مهرجان أيام الجم الرومانية، والمقرر إقامتها في عام 2025، كما تعمل على إعادة إحياء مهرجان الفيلم التاريخي في المدينة. لكن هذه التطلعات تظلّ مرهونة بتوفّر الدعم المادي. قال زيد زويد: «نعاني من بعض الصعوبات التمويلية، وننتظر الدعم المالي من الهياكل الثقافية الرسمية حتى نحافظ على مستوى المهرجان، وكذلك لإثرائه بمزيد من العروض الجديدة».

باختصار

جذبت فرادة المهرجان وعروضه مواطنين من مختلف المدن التونسية لمتابعته ورؤية مشاهد لم يألفوها من قبل

■■■

على الرغم من تنوّع الفعاليات وارتفاع أعداد المشاركين، فإنّ المهرجان ما زال حتى اليوم يعمل ضمن ظروف مادية متواضعة

■■■

تتطلّع الجمعية إلى الدورة المقبلة من مهرجان أيام الجم الرومانية عام 2025، وإعادة إحياء مهرجان الفيلم التاريخي في المدينة

وأخيراً

ورق التوت في غزّة

سما حسن

كانت المرّة الأولى التي اكتشفت فيها عظمة شجرة التوت العملاقة ذات الأوراق الكبيرة في بيتنا العتيق في مخيم خانيونس في جنوب قطاع غزّة. كنتُ وقتها مثل كل الأطفال الفضوليين، فلا يمكن أن يمرّ أي موقف من أمامي من دون أن أحاول تفسيره، وإنْ كانت معظم تفسيراتي خيالية، وظلت معي حتى سنوات متقدّمة، إلا أن ذلك لم يمنع أن أكتشف، على سبيل المثال، أن شجرة التوت منقذة، وكان أن أجهضت أمّي جنينا في باحة بيتنا، ولم تشعر جدّتي بالارتباك ولو لحظة، بل لفّته بخرقة نظيفة، بعد أن تدحرج من رحم أمي فوق الأرضية المشقّقة. وحفرت، بمساعدة جدّي، حفرة عميقة تحت شجرة التوت العملاقة التي تحتلّ منتصف الدار، ودفنا معا الجنين. وجلست جدّتي بجوار الحفرة المطمورة وقتاً خلتُه دهراً، وهي تتنهّد وتتمتم، ثم جرّت ساقيها لتعتني عناية بدائية بأمي، حيث كان وقتها الذهاب إلى المستشفى في حالة بسيطة مثل هذه الحالة ترفا. اكتشفتُ أن شجرة التوت العملاقة تحفظ الأسرار، وتخفي تحتها الأطفال الذين لم تكتمل دورة نموّهم، وصرت أنظر إلى كل شجرة توت أراها أمامي وأنا أتجوّل في المدينة وأحيائها وكأنها صديقتي، حتى صرتُ قارئة نهمة. وصار يتردّد أمام ناظري مصطلح «وسقطت ورقة التوت»، لأكتشف أنها كناية عن انكشاف المستور. لذلك، كان عليّ أن أتأمّل ورقة التوت جيّدا، فأراها ورقة ضخمة تزيد عن حجم كفّ اليد، ولكنها تشبه الكفّ لأنها تتفرّع، في نهايتها، لفروع تشبه الأصابع. ولضخامتها، كان القدماء يسترون بها عوراتهم قبل اختراع الملابس، ولأن عورة الإنسان أهم ما يمكن للإنسان أن يغطّيه عن أعين الآخرين، ويشعر بالخزي والعار لو انكشف أمام الغرباء، فقد حملت ورقة التوت معنى الستر، وسقوطها يعني عكس ذلك.

وعرفت معنىً آخر للستر الذي تقوم به شجرة التوت بثمارها اللذيذة، وليس أوراقها فقط، حين تعثرت بشجرة توت أضخم من شجرة التوت التي كانت في بيتنا في المخيّم. وذلك في بيت سيدة مكافحة، وبعد أن صرتُ أمّاً لعدة أطفال، وأخبرني أولادي أن الصبية في الحي يبتاعون ثمار التوت الشهية الناضجة من شجرة ضخمة تقع في منتصف بيتها، كما كانت شجرة بيتنا الأول، فهرعتُ لأرى تلك الشجرة بحجّة شراء كمية كبيرة من ثمار التوت، وكنتُ أهرع نحو البيت القابع في منطقة أخرى من المدينة لا تقلّ فقرا عن مخيم اللاجئين الذي ولدت فيه، حتى إذا ما حاولت أن أطرق باباً صدئا كان مفتوحاً من الأساس، شعرتُ بأنني سأرى، بعين خيالي، آثار حفرة تحتها قد طُمرت للتو، وقد احتوت قطعةً تشبهني، كان من الممكن أن تكون أختاً وأخاً لي.

عرفتُ، في بيت السيدة المسنّة الفقيرة، أنها تبيع التوت الناضج الشهيّ في موسم التوت حتى إذا ما انتهى الموسم جمعت القروش وأرسلتها إلى ابنها الذي يدرس في كلية الطب في القاهرة، حتى مرّت السنوات، ورأيت اسمه فوق يافطة عملاقة، وبجوار اسمه رسمٌ جميلٌ لورقة توت.

> لا تشبه أوراق التوت المحشوّة بالأرز، والمطبوخة فوق نار الحطب، أي طعام، فلا لذّة ولا نكهة، ولكنها تستر البطون من القرقرة جوعاً

اليوم في غزّة، أصبحت أوراق التوت ساترة لأهلها من الجوع، فقد استغلّوا موسم الثمار فاحتالوا على المجاعة التي تدكّ بطونهم، وجمع الرجال والأطفال الأوراق فغسلوها ثم سلقوها بماء ساخن لكي تلين، وحشت الأمهات تلك الأوراق بحبّات الأرز المضاف لها بعض البهار، ثم لففن تلك الأوراق على شكل أصابع أحكمن إغلاق طرفيها، لكي لا تقع منها حبّات الأرز حين تنضج. وأصبحت أوراق التوت المحشوّة بالأرز وجبة بديلة عن أوراق العنب التي تتفنّن النساء عامة في إعدادها، ولكن في زمن الرخاء والسلام، وحيث يُضفن للأرز بعض اللحم المفروم، ويُضفن قطعا أكبر من اللحم أو أفخاذ الدجاج بين صفوف الأصابع المرصوصة في إناء الطهي.

لا تشبه أوراق التوت المحشوّة بالأرز، والمطبوخة فوق نار الحطب، أي طعام، فلا لذّة ولا نكهة، ولكنها تستر البطون من القرقرة جوعاً. ولذلك، لا تتوقّف أوراق التوت عن أداء مهمة الستر كما عهدناها في تلك الناحية من غزّة التي تنهشها المجاعة.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50** Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**